



قراءة دلائلية بمنطق تحليل الخطاب للفظة الوزر في سورة الانسراح

م. رباب موسى نعمة الصافي

كلية الشیخ الطوسي الجامعية

الملخص:

إن سورة الانسراح نزلت بداعى تسكين نفس الرسول الأعظم وتبشيره بأن دعوته سوف تؤتى ثمارها، وأن عليه الصبر والتحمل؛ لأن مآل الأمور بالمحصلة النهائية إلى الخير، فمنطق السورة كله مبني على منطق تبشير الرسول وتهديته ووعده بالظفر، ييد أنها اشتملت على بعض الألفاظ التي استند إليها المشككون في عصمة النبي الأكرم في تعضيد رأيهم، وإذا كانت دلالات الألفاظ في سياق الخطاب التكلمي تعبّر أحياناً عن دلالة ارتباطية التزامية تُفهم منها بالتضامن، فإن هذه الدلالات الاستباعية يمكن أن يؤسس عليها اتهام الرسول الأكرم بأنه مذنب وأن الله تعالى قد دفع عنه وزره الذي حمله من جراء ما اقترف من ذنب سالفه، ومهمة البحث في هذا المقام هي تفنيد تلك الادعاءات بالاستناد إلى لغة النص نفسه، وما يحتمله من دلالات.



Abstract

The Surat Al-Anshraa is revealed by the reason of the Prophet's great self-indulgence and his proclamation that his vocation will bear fruit, and that he will have patience and endurance. The premise of the whole Sura is based on the logic of the Prophet's preaching and calming him and his promise of victory, but it included some words on which the skeptics relied on the infallibility of the noble Prophet in reinforcing their opinion. And if the semantics of words in the context of speech sometimes express the significance of associative commitment to understand them in harmony, so These serial indications can be based on accusing the noble Prophet of guilt and that God has paid him for his burden, which he carried out because of the sins of his predecessor. The task of research here is to refute those allegations based on the language of the text itself and its implications.

المقدمة

الحمد لله الذي قيس قلوب عباده لاستقبال فيض هداه، وألقى على بصائرهم من أنوار بيانه ما جلى لهم حقائق تزيله، وأفاض على عقولهم كلامه، فأشرقت لطائفه وغرائبها، وأودع في أسفارهم من إعجاز الفهم ما يشهد بإنجاز النظم، والصلة والسلام على خير من بعثهم إلى عباده أبي القاسم محمد وعلى آله الغرّ الميمين، أما بعد:

فلعله من دلائل الإعجاز أن يفيض القرآن من ندى فصاحتة على الدراسات التي تتناول نظمه ما يجعلها أكثر ثراءً وخصوصيةً، ويشير فيها من نور بيانه ما تبدو به أكثر تأله، وأهدى سبيلاً، ينحي هذا المسعى العلمي لاتخاذ التزعة التحليلية للخطاب وسيلة لاستظهار المكامن الدلالية المضمنة في دلالة لفظة الوزر وذلك تحديداً في سورة الأشراح؛ إذ تنطلق الباحثة من توظيف مقررات الفكر التحوي واسس الابداع البلاغي ونناتجات البيان التفسيري ومعطليات المعنى المعجمي وكل ما يسهم في تحقيق بيان دلالة لفظة الوزر من قرينة سياقية او لمحة عقلية تستند الى منطق لغوي ثابت من اجل قراءة دلالة تلك اللفظة في سورة الأشراح قراءة تفصيلية واعية، على ذلك يمكنها من الوقوف على الدلالة الإعجازية لها ليتسنى الإجابة على كثير من التساؤلات والتأملات تجاه هذه اللفظة.

دلالة لفظة (الوزر) في اللغة والاستعمال القرآني:

لقد وردت لفظة (الوزر) في القرآن الكريم اثنى عشرة مرّة، منها قوله تعالى: **چ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَرِزُّ وَلَا زَرَّةٌ وِزَرَّ أَخْرَى إِلَّا**^١، والمشار إليه بالوزر في القرآن الكريم، حال صاحب الذنب، وما يتحمله من عبء وثقل يرهقه ويؤذيه^٢



وجاء في تفسير معالم التزييل ما نصه: (وَحَطَّتْنَا عَنْكَ الَّذِي سَلَفَ مِنْكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يَعْنِي الْخَطَأَ وَالسَّهْوَ) (٤).

وقال النيسابوري في تفسيره لهذه الآية: (الوزر الذي أنقض ظهره أى أنقله لما صدر عنه من بعض الصغائر قبل النبوة ولما جهله من الأحكام والشراهم) (١٤)

وَمَا نَلَحِظُ مِنَ الْأَقْوَالِ السَّابِقَةِ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَذَهِّبُ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كَانَتْ لِدِيهِ ذُنُوبٌ، وَهَذِهِ الذُّنُوبُ تَنَافِي أَنْ يَكُونَ مَعْصِمًا قَبْلَ الْبَعْثَةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ الْوَزْرَ فِي الْلُّغَةِ يَعْنِي التَّقْلِيلِ، وَسُمِّيَتِ الْذُنُوبُ أَوْ أَدَارَتْ تَقْلِيلًا حَامِلَهَا، وَكَا غَمَّ وَهُمْ مَوْسِعُهُ لَهُ هُوَ، فِي الْلُّغَةِ^(١٤)

ويؤكّد الشّيخ الطّوسي عدم صحة تلك الاقوال، إذ يقول: (الأنّ الأنبياء عليهم السلام) لا يفعلون شيئاً من القبائح لا قبل النّبوة ولا بعدها ولا صغيرة ولا كبيرة... فمعنى الآية هو أنّ الله تعالى لما بعث نبيه وأوحى إليه وانتشر أمره، وظهر حكمه كان ما كان من كفار قومه، وتبعهم لاصحابه بأذاهم له، و تعرضهم إياهم، ما كان يغمه ويسوئه ويفضي صدره ويُثقل عليه، فأزال الله ذلك بأنّ أعلى كلمته وأظهر دعوته وقهر عدوه) (١٨).

وذهب الشريف المرتضى فى تفسيره للفظة (الوزر) الى الدلالة اللغوية الأصل لللفظة، وهى دلالة التقلل، إذ يرى بأن الذنوب أو زاراً لأنها تقلل صاحبها، فيكون على هذا الأساس كل شيء أقل الإنسان وعمره وكده وجهده جاز أن يسمى وزراً، تشبيهاً بالوزر الذى هو التقلل资料， فلا يمتنع أن تكون دلالة الوزر فى الآية المباركة إنما أراد بها **غم** **النبي** (صل الله عليه وآله وسلم) وهم بما كان عليه قومه من الشرك وما كان هو واصحابه بینهم من الضعف والقهر^{١٤}!



بهذا نجد أن الوزر الذي وضعه سبحانه وتعالى عن رسوله (عليه الصلاة والسلام) هو إزالة الله لهم والغم مما كان يتحمله من قومه أو دعوته اليهم للإيمان بالله ونبذ عبادة الأصنام، فحينما بدأ بالدعوة الإسلامية لاقى من المعارضة والمضايقة والقتل والتشريد لبعض أصحابه، فالهم الذي كان يعترى الرسول نابع من شدة حزنه على قومه الكافرين لأنهم لم يدعوا إلى الإسلام ولم تلين قلوبهم لما هداهم الله ولهذا كان همه كبيراً بداعى شركهم وكفرهم – وليس همه على أصحابه – ودليل ذلك قوله تعالى: **چ فَلَمَّا كَبَأَخْ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ كُمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْعَاهُمْ چ**^(٤) (وأيضاً قوله تعالى: **چ جَ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَ يَصْرُوُا إِلَّا هُنَّ شَيْئًا چ**^(٥)) فهمه ذلك كثيراً وغمه الأمر لوجود المعارضة القوية وضعف أصحابه، فطمأنه الله عزوجل وشرح صدره من بعد هذا الثقل وهذا الوزر الكبير الذي أهله، ووضع ما كان عنه من هم وغم بأن يعلى كلمته وينشر دعوته ويهدى قومه، وما عليه سوى الدعوة ونشر الإسلام والصبر على ذلك وأن النتيجة هي النصر له ولدعوته العظيمة، وبذلك أزال عنه سبحانه وتعالى ذلك الهم الذي أثقل ظهره، لأن نقض الظاهر هو الثقل والحمل كما جاء في معجمات اللغة.

والذى يقوى ما قلناه الآيات التالية لهذه الآية من السورة، وهى قوله تعالى: **چ وَرَفَعْنَا لَكَ ذُكْرَكَ چ**^(٦) وهذه طمأنينة للرسول (صل الله عليه وآله وسلم) وبشارة له بعلو شأنه وانتصار دعوته، وبقاء ذكره سامياً عالياً في السماء والأرض، فكيف لا يشرح بذلك صدره، ويزول همه وغممه؟ وبيهيده أيضاً قوله تعالى: **چ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا چ**^(٧) وهى تحكى حالة النبي (صل الله عليه وآله وسلم) وحالة أصحابه فى وقت العسرة وشدة المعارضة وليس أسرع وأصعب مما كانوا عليه فى بدء الدعوة؛ إذ وصل الامر بقومه الى أذيته (صل الله عليه وآله وسلم) بوصفه بالجنون والسحر، وبعد كل هذا العسر وعده الله باليسير والنصر وسيادة دعوته (صل الله عليه وآله وسلم) وإزالة كل هذه الهموم والغموم عنه (صل الله عليه وآله وسلم).

ومما يمكن الإشارة اليه هو أن لفظة (الوزر) ليس بالضرورة أن تدل على معنى الذنب؛ إذ يمكن أن ترد من خلال القرآن السياقية دالة على المعنى المعجمى لها؛ لأن ((كل شيء أثقل الإنسان وغممه وكده وجهده جاز أن يسمى وزراً، تشبهها بالوزر الذي هو الثقل الحقيقى))^(٨) ودليل ذلك قوله تعالى: **چ فَإِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقْسِرُوا الرَّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَنْتَنُّهُمْ فَشَدُوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنْ يَعْدُ إِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْ رَأَرَاهَا چ**^(٩) (أوزار الحرب) في النص القرآني هي ((أثقالها وأحمالها)، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح فيمسكونها عن الحرب، وأصل ((الوزر ما يُحتمل الإنسان فسمى الأسلحة أوزاراً؛ لأنها تُحمل))^(١٠) وبهذا فإن ((ليس يمتنع أن يكون الوزر في الآية إنما أراد به غمه (صل الله عليه وآله وسلم) وهمه بما كان عليه قومه من الشرك))^(١١).

لهذا فقد كان الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) ((مستوحشاً من ضلال الناس معايناً لأعباء هذا الهم المبرح وعسر الحيرة وضيق الصدر منتظرًا لفرج الله ولطفه ورحمته الواسعة، حتى شرح الله صدره ويسر أمره وفتح له باب الهدى والرحمة بالرحى، ووضع عنه أوزار الهم والعناء بالبعثة والرسالة بالدعوة إلى الحق))^(١٢).



وما يمكننا أن نستدل به توثيقاً على أن معنى الوزر في النص القرآني يدل على معنى الهم وحمل الثقل، هي الآية التي قبل آية الوزر وهي قوله تعالى: **چ آلم نَشَرَ لَكَ صَدْرَكَ چ**^{٣٧} وقوله تعالى بعد آية الوزر **ث چ وَرَفَعْتَ لَكَ دَكَرَكَ** ^(٤) **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ^(٥) (إنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) فالذى نلحظه في النصوص القرآنية أن المقصود بلفظة الوزر هو الهم وحمل الثقل الذى كان يعاني منه الرسول الكريم قبل البعثة بدلالة ((الاستفهام التقريري الوارد في قوله تعالى: **آلم نَشَرَ لَكَ صَدْرَكَ چ** وهذا الاستفهام يرد كثيراً في القرآن، ويقدر الفعل بفعل ماضٍ مفروناً بقد، ففي قوله **چ آلم نَشَرَ لَكَ صَدْرَكَ چ** يقدر بأن المعنى قد شرحا لك صدرك، وهذا الشرح شرعاً يعنيه ليس شرح حسي، وشرح الصدر أن يكون متسعاً لحكم الله عزوجل بنوعه الشرعى والقدري))^{٤٦}

إذن شرح الصدر يعني توسيعه وتهيئته لأحكام الله الشرعية والقدريه، ونبينا محمد (صل الله عليه وآله وسلم) له العظى الأول من ذلك، فهو أتقى الناس لله، وأشدهم قياماً بطاعة الله وأكثراهم صبراً على أقدار الله، لهذا نجد الأنبياء أكثر الناس بلاء.

وما نلحظه في الآية **چ آلم نَشَرَ لَكَ صَدْرَكَ** أن الفعل المضارع (نشر) منفي والفعل المنفي إذا دخل عليه استفهام كان هذا الاستفهام للتقرير والمقصود به في هذه الآية هو التذكير- أى تذكير الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) - بنعم الله عليه وحتى يداوم على شكره تعالى، فصار المعنى: (قد شرحا لك صدرك، وإنما خص الصدر لأنه محل أحوال النفس من العلوم والأدراكات، والمراد الامتنان عليه (صل الله عليه وآله وسلم) بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قال به من الدعوه))^{٤٧}.

واللام في قوله (لك) لام التعليل، وهي تفيد التكريم لنفسى النبي (صل الله عليه وآله وسلم) بأن الله فعل ذلك لأجله، وفي ذكر الجار وال مجرور قبل ذكر المشروع سلوك طريقة الابهام للتشويق فإنه لما ذكر فعل شرح علم السامع أنه ثم مشروح، فلما وقع قوله (لك) فوى الإبهام فازداد التشويق، لأن (لك) تفيد معنى شيئاً لأجلك فلما وقع بعده قوله (صدرك) تعين المشروع المترقب فتتمكن في الذهن كمال التمكן^{٤٨}.

وتوسط (لك) بين الفعل والمفعول دلالة على أن الشرح من منافعه النبي (صل الله عليه وآله وسلم) ومصالحة، مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه وتشويقاً إلى ما يعقبه، ليتمكن عنده وقت وروده فضل التمكן^{٤٩}.

وقوله تعالى: **چ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ چ** (عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخير عنه ذلك لتعجيز المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار وال مجرور عنه لما من آنفه من القصد إلى تعجيز المسرة والتشويق إلى المؤخر))^{٥٠}.

يقول محمد الأمين: ((والوضع يكون للحط والتخفيف، ويكون للحمل الثقيل، فإن عدّى بعن كان للحط، وإن عدّى بعلى كان للحمل، في قولهم: وضعْتُ عنك، ووضعتُ عليك، والوزر لغة الثقل))^{٥١}.



ويقول القرطبي: ((وَوَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ))، فهذا عطف على التأويل، لا على التنزيل، لأنه لو كان على التنزيل لقال: ونفع عنك وزرك، فدل هذا على أن المعنى ألم نشرح: قد شرحنا. ولم جحد، وفي الاستفهام طرف من الجحد، وإذا وقع الجحد رجع إلى التحقيق، كقوله تعالى: (أَلِمَ اللَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) ^{٣٣} ومعناه: الله أحكم الحاكمين) ^{٣٤}.

ولفظة (انقض) في قوله تعالى: (الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) ^{٣٥} في الاستعمال اللغوي والقرآنى تدل على الحل والانتشار، والتمزق تحت ضغط ثقيل ومعناه ^{٣٦} وذهب المفسرون في تأويلها مذاهب شتى، ومنهم الطبرى، إذ قال: ((وَوَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ))، أى وغفرنا لك ما سلف من ذنبك، وحططنا عنك ثقل إيمان الجاهلية التي كنت فيها، وحللنا عنك وقرك الذي أثقل ظهرك فأوهنه) ^{٣٧}.

وقال أبو حيان هى: ((كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأذنار، عبر عن ذلك بالحط على سبيل البالغة في انتفاء ذلك)) ^{٣٨} وعليه فإن ((الكلام على التمثيل، فإن ما كان يحمله عليه السلام من ثقل الاهتمام بشأن قوله، وضيق المذاهب بين يديه قبل تواتر الوحي عليه بالإرشاد، لم يكن ثقلاً حسياً ينقض منه الظاهر، ولكن كان هماً نفسيًّا يفوق ألم ذلك النقل الحسى الممثل به، فعبر عن الهم الذي تبعه له النفوس بالحمل الذي تقصمه له الظاهر)) ^{٣٩} ودلالة هذه اللفظة على أن هذا تخفيف أعباء النبوة التي تثقل الظاهر من القيام بأمرها سهل الله تعالى ذلك على نبيه حتى تيسر له ^{٤٠}

ورفع الذكر: جَعَلُ ذِكْرَهُ بَيْنَ النَّاسِ بِصَفَاتِ الْكَمَالِ، وَذَلِكَ بِمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَانِاً عَلَيْهِ وَكَرَمَةً، وَبِإِلَهَامِ النَّاسِ التَّحْدِثُ بِمَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَمَّدِ مُنْذَ نَشَأَتْهُ، وَعَطْفَ (وَوَضَعْنَا وَرَفَعْنَا) بِصَيْغَةِ الْمَاضِي عَلَى الْفَعْلِ (نَشَرَ) بِصَيْغَةِ الْمَاضِي الْمُضَارِّ لِأَنَّ (لَمْ) قَبِلتْ زَمِنَ الْحَالِ إِلَى الْمَاضِي فَعْطَفَ عَلَيْهِ الْفَعْلَانِ بِصَيْغَةِ الْمَاضِي لِأَنَّهُمَا دَخَلَانِ فِي حِيزِ التَّقْرِيرِ فَلَمَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِمَا الْحَرْفُ (لَمْ) صِيرَبِهِمَا إِلَى مَا تَفَيَّدَهُ (لَمْ) مِنْ مَعْنَى الْمَاضِي. فَالآلية تشير إلى أحوال النبي (صل الله عليه وآله وسلم) التي كان في حرج منها أو من شأنه أن يكون في حرج، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هيأ نفسه لعدم النبوة بها، وكان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) يَعْلَمُهَا كما أشرى به إيجابها في الاستفهام التقريري المقتضى عِلْمَ الْمُتَرَرِّ بِمَا قَرَرَ عَلَيْهِ، وَمِنْ عَظِيمِ رفع ذكره أنه اسمه (صل الله عليه وآله وسلم) مُقْتَرِنٌ باسم الله تعالى في كلمة الإسلام وهي كلمة الشهادة.

وجاء في فتح القدير ما نصه: ((ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ وَكَرَمَتَهُ فَقَالَ: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذَكْرَكَ))، وذلك أن الله لا يُذَكَّرُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا ذَكْرُ مَعِهِ (صل الله عليه وآله وسلم) ورفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا منشدٌ ولا صاحب صلاة إلَّا ينادى فيقول: أَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشَهُدُ أَنْ مُحَمَّداً رَسُولَ اللهِ، وَقِيلَ الْمَعْنَى: ذَكْرُنَاكَ فِي الْكِتَابِ الْمَنْزَلَةُ عَلَى قَبْلِكَ، أَمْرَنَاهُمْ بِالْبَشَارَةِ بِكَ، وَرَفَعْنَا ذَكْرَكَ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَرْضِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا رُفِعَ لِذَكْرِهِ الَّذِي امْتَنَّ اللَّهُ بِهِ يَتَأَوَّلُ جَمِيعُ هَذِهِ الْأَمْرَوْنَ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَسْبَابُ رُفْعِ الذَّكْرِ، وَكَذَلِكَ امْرُهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَإِخْبَارُهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٍ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ مَنْ مَنَّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، وَأَمْرُ اللَّهِ بِطَاعَتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَقُولُ أَطْلِعُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ) ^{٤١}، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَقُولُ وَمَا أَتَّكُمُ الرَّسُولُ فَخُدُودُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ هُوَ) ^{٤٢} وَغَيْرُ ذَلِكَ) ^{٤٣}.



ومما يلاحظ أن لفظة (الذكر) أكثر ما تضاف إلى اسمه تعالى ظاهراً كان أو إلى ضمير جل شأنه، وجاء الذكر معرفاً بالـ، بمعنى الوحي أو القرآن الكريم في بعض السور^{٤٣} وهذا مما يُضفي على كلمة (الذكر) جلاً ورفة، لكثره ما تقترب بذات الجلاله، أو تضاف إلى ضمير جل شأنه، أو يقصد بها القرآن والوحي^{٤٤} وفي قوله تعالى: چَ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا چَ إِشارة إلى أن الذي منحه، صلوات الله عليه، من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر بعد ضيق الامر واستحكام حلقات الكرب، ولهذا وصل العبارة بالفاء التي لبيان السبب، و(ال) في (العسر) للاستغراف ولكنه استغراف بالمعهود عند المخاطبين من افراده أو انواعه، فهو العسر الذي يعرض من الفقر والضعف وجهل الصديق وقوه العدو، وقلة الوسائل الى المطلوب، فهذه الانواع من العسر مهما اشتدت وكانت النفس حريصة على الخروج منها طاله لكشف شدتها، وقد كان هذا حال النبي (صل الله عليه وآله وسلم) فإن ضيق الامر عليه كان يحمله على التفكير والنظر حتى آتاه الله ما هو أكبر من ذلك وهو الوحي والنبوة^{٤٥} وعليه فإن قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) كاشفاً وموضحاً لدلالة (وزر ک) ومثبته بيان المراد من الوزر هو التقليل بالهم.

وهكذا كان تدبر الله سبحانه وتعالى مع النبي الكريم، بدأ أمره بالعسر والضيق، ثم كانت عاقبة أمره إلى اليسر والاسعة، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: چَ وَلَلَّا خَرَّةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى چَ^{٤٦} فالأمور بخواتيمها، فالآيات تقرران ما سبق بيانه من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر.

وقد رجحت بنت الشاطئ أن (ال) في العسر للعهد لا للاستغراف، والمراد والله أعلم، ما كان الرسول يشعر به من ضيق الصدر وثقل العبء في مواجهة الوثيقة العاتية الراسخة، وأما تكثير يُسر، فلكله ينفع فيه مجال التصور والاطلاق فيحتمل ما قاله المفسرون وما لم يقولوه، إذ التحديد هنا بهذا أو كيت من مفهوم اليسر، ينافي البيان القرآني الذي أثر اطلاق (يُسر) بغير قيد ولا حد^{٤٧}

من هنا نقول إن المقصود في قوله تعالى: (وَوَضَعَنَا عَنْكَ وزْرَكَ چَ) هو عناية الله تعالى برسوله (صل الله عليه وآله وسلم) بطف الله وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه، فالآية تشير إلى أحوال كان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) في حرج منها، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هيأ نفسه لعدم النوء بها.

وكان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) يعلمها كما أشعر به إجمالها في الاستفهام التقريري المقتضى علم المقرر بما قرر عليه، فقد كان في حرج من كونه بينهم - أى قومه - ولا يستطيع صرفهم مما هم فيه ولم يكن يتربّط طررقاً لأن يهدى بهم أو لم يصل إلى معرفة كنه الحق الذي يجب أن يكون قومه عليه ولم يطبع إلأ في خصوصية نفسه يود أن يجد لنفسه قبس نور يضيء له سبيل الحق مما كان باعثاً له على التفكير والخلوة والاتجاه إلى الله، فكان يبحث في غار حراء فلما انتشله الله من تلك الوحلة بما أكرمه به من الوحي كان ذلك شرعاً مما كان يضيق به صدره يومئذ، فانجل ليه النور، وأمر بإنقاذ قومه فقابلوا إرشاده بالإعراض وملاطفته لهم بالامتناع، حدث في صدره ضيق آخر، وقد وعده الله بأنه كلما عرض له عسرٌ فسيجد من



أمره يُسراً فليتحمل متابع الرسالة ويرغب إلى الله عونه، فالسورة كلها مقصورة على بيات كرامه النبي (صل الله عليه وآله وسلم) عند ربه تعالى.

من هنا لا مجال لمن يقول بأن قوله تعالى: چ وَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ چ يقصد بها الذنب، ذلك بأن سياق السورة بكماله لا يتحمل هذا المعنى ؛ بل يناسبه وينافي، فالرسول الكريم نزيه كل التراهه عمما نسب إليه ذلك لأن قوله تعالى: چ وَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ چ هو خطاب الله للرسول (صل الله عليه وآله وسلم) للعناية به ولطف الله به وللتحفيظ عنه، وذلك عن طريق تذكيره بنعمه الله تعالى عليه تلك النعمة التي يتجلّى فيها مضمون مساندته الله تعالى للرسول الكريم، فقد رفع الله سبحانه وتعالى عنهم قومه نعمة وكرامة له وسند وقوه له، فالله سبحانه وتعالى ناصره الان وغداً لا محالة فلا يحزن لأن النصر والظفر له مطلقاً.

الخاتمة:

الى الله تعالى أتوجه بأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من أراد إن يزود من بلاغة الأسلوب القرآني، ولا سيما أن من علوم القرآن معرفة إعجازه، وقد رجوت وأملت أن يضيف بعثني هذا عملاً جديداً جيداً إلى ميدان الدراسات القرآنية، وهذا أنا ذا أجمل يأيّجّاز أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

١. توصل البحث إلى أن السياق (مقاماً أو مقالياً) هو من أهم العوامل التي تعين على قراءة النصوص المشكك بها قراءة دقيقة صحيحة.
٢. اتضح أن الموسوعة المعجمية بما تشمل عليه من دلالات متعددة للمفردات اللغوية أسهمت اسهاماً فاعلاً في إفاده القارئ وتزويده بالدلالة المناسبة التي يتطلبه سياق الحديث كما لاحظنا ذلك في لفظة (وزرك) لما تحمله من دلالة على ثقل الحمل وليس فقط الذنب الثقيل وهي دلالة قارة و معروفة في المعجم العربي.
٣. أدى اقتران أداة الاستفهام (الهمزة) بأداة النفي (لم) إلى الانحراف بالأسلوب الإنساني دلائلاً إلى أسلوب خبرى مانحاً السياق سمة التقريرية (الإثبات) لتوجيه الدلالة العامة للسياق بقوة أكبر، ذلك بأن تسييق الحدث بوسائله الإنسانية أقوى دلائلاً من التعبير الخبرى المباشر.
٤. توصل البحث إلى إن المقصود في قوله تعالى: (٥٤ هـ) چ هو عناء الله تعالى برسوله (صل الله عليه وآله وسلم) بلطف الله وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه، فالآية تشير إلى أحوال كان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) في حرج منها، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هي نفسه لعدم النوع بها.
٥. أدى ورود (لم) من دون (ما) إلى الانحراف دلائلاً بزميّة السياق إلى الماضي هذا من جهة، وتحقق تقرير الحدث على سبيل التجدد والاستمرار بدخولها على المضارع من جهة أخرى، وبهذا تكون صفة الشرح صفة دائمة لصدر الرسول (صل الله عليه وآله وسلم).



الهوامش:

(١) سورة الانعام: الآية (١٦٤).

(٢) ينظر معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: ٤٥.

(٣) معجم العين: مادة (وزر) ٧/٣٨٠، وينظر المعجم الوسيط: مادة (وزر) ٢/٢٨٢.

(٤) لسان العرب: مادة (وزر) ٥/٢٨٢، وينظر تاج العروس: مادة (وزر) ١٤/٣٥٩، ومخاتر الصحاح: ٢٩٩/١.

(٥) سورة القيامة: الآية (١١).

(٦) مقاييس اللغة: ٦/١٠٨.

(٧) سورة القيامة: الآية (١١).

(٨) سورة النحل: الآية (٢٥).

(٩) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٤-٥٤٥.

(١٠) سورة الشرح: الآية (٢).

(١١) ينظر جامع البيان: ٤٩٣/٢٤، والجامع لأحكام القرآن: ٩٧/٢٠، وتفسير النيسابوري: ٧/٣٥٩، وفتح القدير: ٨/٢٠، ومعالم التنزيل: ٥٤٥/٨.

(١٢) مفاتيح الغيب: ٦/٢٦٤، ٨/٨٩، ١٧/٨٩، والسراج المنير: ١/٥٢٣٤، المحرر الوجيز: ١/١١٢٨، وتأويل مشكل القرآن: ١/١٧٦.

(١٣) معالم التنزيل: ٤٦٣/٨.

(١٤) تفسير النيسابوري: ٧/٣٥٩.

(١٥) ينظر تاج العروس: ١٤/٣٥٩، ومخاتر الصحاح: ٢٩٩/١.

(١٦) التبيان: ١٠/٣٥٧، وينظر مجمع البيان: ١٠/٤٥، وتفسير الميزان: ٢٠/١٧٦، الأمثل: ٢٠/٢٩٥، والبحر المحيط: ١٠/٤٩٦، والتفسير

البيانى للقرآن الكريم: ١/٦٦.

(١٧) ينظر تنزية الأنبياء: ١٣٣، وحقائق التأويل: ٣/٤٦٧.

(١٨) سورة الكهف: الآية (٦).

(١٩) سورة آل عمران: من الآية (١٧٦).

(٢٠) سورة الشرح: الآية (٤).

(٢١) سورة الشرح: الآية (٥).



(٢٢) تنزيل الأنبياء: ١٣٣.

(٢٣) سورة محمد: الآية (٢).

(٢٤) معالم التنزيل: ٢٧٨ / ١.

(٢٥) تنزيل الأنبياء: ١٣٣.

(٢٦) الهدى إلى دين المصطفى: ١٩٧ / ١، وينظر الكاشف: ٨١ / ٧

(٢٧) سورة الشرح: الآية (١).

(٢٨) سورة الشرح: الآية (٤ - ٦).

(٢٩) تفسير جزء (عم): ٢٤١ / ١، وينظر البحر المحيط: ٤٩٩ / ١٥، وفتح البيان: ٤٩٩ / ١٥، التفسير الوسيط: ٤٣٦ / ١٥، وفتح القدير: ٥ / ٥

٥٦٢، وأضواء البيان: ٨ / ٨، والتحرير والتفسير: ٤٠٨ / ٣٠، والتفسير القرآني للقرآن: ١٦٠٥ / ١٦، واعراب القرآن وبيانه: ١٠ / ١٥.

(٣٠) فتح القدير: ٥ / ٥، ٥٦٢ / ٥

(٣١) ينظر البحر المديد: ٧ / ٧، والتفسير الوسيط: ١٥ / ٤٢٧، والتحرير والتفسير: ٤٠٩ / ٣٠

(٣٢) ينظر البحر المديد: ٧ / ٣١٢

(٣٣) أرشاد العقل السليم: ٩ / ١٧٢، وينظر الكشاف: ٧٧٥ / ٤، التفسير القرآني للقرآن: ١٦٠٥ / ١٦، والبحر المديد: ٧ / ٣٢٢، وروح البيان:

٢٩٠ / ١٥، وفتح البيان: ١٥ / ٤٦٣، واعراب القرآن وبيانه: ١٠ / ٤٦٣، وفتح البيان: ١٥ / ٥١٦، وفتح البيان: ١٥ / ٢٩٠.

(٣٤) أضواء البيان: ٨ / ٨، وينظر التفسير الوسيط: ١٥ / ٤٣٧، ومحاسن التأويل: ٩ / ٤٩٤.

(٣٥) سورة التين: الآية (٨).

(٣٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ١٠٥.

(٣٧) سورة الشرح: الآية (٣).

(٣٨) ينظر التفسير البشري: ١ / ٦٥.

(٣٩) جامع البيان: ٢٤ / ٤٩٣.

(٤٠) البحر المحيط: ١٠ / ٥٠٠.

(٤١) تفسير جزء عم: سورة الشرح، وينظر التفسير البشري: ١ / ١٦١.

(٤٢) ينظر فتح البيان: ١٥ / ٢٩١.

قراءة دلالية بمنطق تحليل الخطاب للفظة الوزر في سورة الانشراح



(٤٣) سورة النور: الآية (٥٤).

(٤٤) سورة الحشر: الآية (٧).

(٤٥) فتح القدير: ٥/٥٦٣-٥٦٤.

(٤٦) ينظر سورة الحجر الآيات (٦-٩) وسورة القمر الآية (٢٥) وسورة فصلت الآية (٤١) وسورة النحل الآية (٤٤) وسورة الفرقان

الآية (١٨).

(٤٧) ينظر التفسير البیانی: ١/٦٧-٦٨.

(٤٨) سورة الشرح: الآیات (٥-٦).

(٤٩) ينظر غرائب القرآن ورغمات القرآن: ٦/٥٢٣، ٤٩٦-٤٩٧، ومحاسن التأویل:

(٥٠) سورة الضحی: الآیة (٤).

(٥١) التفسیر البیانی: ١/٧١.



المصادر والمراجع:

● القرآن الكريم

- الاصفهانی: ابو القاسم الحسین بن محمد الراغب الاصفهانی (٥٥٠هـ): المفردات فی غریب القرآن، تحقیق: هیثم طعیمی، دار إحياء التراث العربي، بیروت – لبنان، الطبعة الاولی ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- البغوی: أبو محمد الحسین بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٥١٠هـ): معلم التنزیل فی تفسیر القرآن، تحقیق: عبد الرزاق المهدی، دار احیاء التراث العربي – بیروت الطبعة الاولی ١٤٢٠هـ.
- البلاغی: محمد جواد البلاغی (١٣٢٨هـ): الهدی الى دین المصطفی، الناشر: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بیروت – لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- أبو حیان الاندلسی: محمد بن یوسف الشهیر بابی حیان الاندلسی (٧٤٥هـ): البحر المحيط، تحقیق: الشیخ عادل احمد عبد الموجود والشیخ علی محمد موضع، شارک فی التحقیق: د. زکریا عبد المجید والدكتور احمد النجولی الجمل، دار الكتب العلمیة، بیروت – لبنان الطبعة الاولی ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الخطیب: عبد الكریم یونس الخطیب (١٣٩٠هـ): التفسیر القرآنی للقرآن، دار الفكر العربي – القاهره، د. ت، د. ط.
- الرازی: فخر الدین محمد بن عمر الرازی الشافعی (٦٦٦هـ): التفسیر الكبير (مفاییح الغیب) دار الكتب العلمیة، بیروت – لبنان الطبعة الاولی ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الرازی: محمد بن ابی بکر بن عبد القادر (٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تحقیق: محمود خاطر، مکتبہ لبنان ناشرون – بیروت، الطبعة الجدیدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الزبیدی: محمد بن عبد الرزاق الحسینی أبو الفیض الملقب بمرتضی الزبیدی (١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقیق: مجموعۃ من المحققین، الناشر: دار الهدایة، د. ت.
- الزمخشیری: ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشیری (٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق التأویل وعيون الاقوایل فی وجوه التأویل، تحقیق: عبد الرزاق المهدی، دار إحياء التراث العربي، بیروت – لبنان، الطبعة الاولی ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- أبو السعید: محمد بن محمد العمادی (٩٨٢هـ): إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، مطبعة دار احیاء التراث العربي – بیروت، د. ت.
- الشافعی: شمس الدین محمد بن أحمد الخطیب الشیرینی الشافعی (٩٧٧هـ): السراج المنیر فی الإعانة علی معرفة بعض معانی کلام ربنا الحکیم الخیر، مطبعة بولاق (الأمیریة) – القاهره – ١٢٨٥هـ.
- الشریف الرضی (٤٠٦هـ): حقائق التأویل فی متشابه التنزیل، تحقیق: محمد الرضا آل کاشف الغطاء، دار الأضواء، بیروت – لبنان، الطبعة الاولی ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- الشریف المرتضی: ابو القاسم علی بن الحسین الموسوی العلوی (٤٣٦هـ): تنزیه الانیاء: منشورات المکتبة الحیدریة ومطبعه فی النجف، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



١٤. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ): فتح القيدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
١٥. الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجعكى الشنقيطي (١٣٩٣هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، د. ط.
١٦. الشيرازى: ناصر مكارم الشيرازى: الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ
١٧. الطباطبائى: محمد حسين الطباطبائى (١٤٠٢هـ): الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعه المدرسين - قم المقدسة، د. ت، د. ط.
١٨. الطبرسى: أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: السيد هاشم الرسولى المحلاتى، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ - ١٣٣٩ هـ ش.
١٩. الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد به كثير بن غالب (٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: احمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٠. الطنطاوى: محمد سيد طنطاوى، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
٢١. الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسي (٤٦٠هـ): البيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قصیر العاملی، مطیعة قم - مکتبة الاعلام الاسلامی، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ
٢٢. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): التفسير البیانی للقرآن الكريم، دار العارف، د. ط، د. ت.
٢٣. ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ): التحریر والتنویر، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ م، د. ط.
٢٤. العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ): تفسير جزء عم، إعداد وتحريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٥. ابن عجيبة: احمد بن محمد بن المهدى الحسنى الإدريسى الشاذلى (١٨٠٨هـ): البحر المدى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٦. ابن عطية الاندلسى: أبو محمد عبد الحق بن غالب (٥٤١هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٧. ابن فارس: أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازى القزوينى (٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٢٨. الفراهيدى: أبو عبد الرحمن خليل بن احمد الفراهيدى (١٧٥هـ): معجم العين، تحقيق: د. مهدى المخزومى و د. إبراهيم السامرائى، مؤسسة دار الهجرة - ايران، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ



٢٩. القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (١٣٣٢هـ): محسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ
٣٠. ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ): تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد احمد الصقر، دار احياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م، د. ط.
٣١. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (٦٧١هـ): الجامع لاحكام القرآن، صحيحة: احمد عبد العليم البردوني، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ – ١٩٥٢م.
٣٢. القنوجي: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن على ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، عنى بطبعه وقلم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٣٣. محمد محمد داود: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة – مصر ٢٠٠٨م، د. ط.
٣٤. محى الدين درويش: اعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٣٥. مغنية: محمد جواد مغنية (١٤٠٠هـ): الكاشف، مطبعة دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨١م.
٣٦. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ): لسان العرب، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، د. ت.
٣٧. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٨٥٠هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ